

74

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (18)

بيعة العقبة الكبرى

مراجعة: د. محمد الأحمد بن محمد الأحمد
ترجمة: د. محمد الأحمد بن محمد الأحمد
إشراف: د. محمد بن محمد الأحمد





فِي الْعَامِ التَّالِي لِبَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الصَّغْرَى ، وَفِي مَوْسَمِ
الْحَجِّ ، قَالَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ بَعْضُهُمْ لِلْبَعْضِ :
- إِلَى مَتَى نَتَشَرَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ ، وَيَخَافُ مِنْ مُشْرِكِي

قَوْمِهِ ؟

وَهَكَذَا خَرَجَ مُسْلِمُو يَثْرِبَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مَعَ
مُشْرِكِي قَوْمِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدُ ،
وَخَرَجَ مَعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ رضي الله عنه ..

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ وَاعْدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ
يَلْتَقُوا بِهِ عِنْدَ الْعُقْبَةِ لَيْلًا مِنْ أَوَاسِطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ،
بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ انْتَهَوْا مِنْ أَدَاءِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ ، حَتَّى
يَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ..

فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ أَدَاءِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ مَعَ قَوْمِهِمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وَاعْدُوا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
تَسَلَّلَ الْأَنْصَارُ مِنْ مُعَسْكَرِ قَوْمِهِمْ ، وَذَهَبُوا مُسْتَخْفِينَ
عَنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَرَأَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
ابْنُ حَرَامٍ ، فَتَسَلَّلَ خَلْفَهُمْ ، وَكَانَ لَمْ يَزَلْ مُشْرِكًا ،
فَلَمَّا سَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ تَسَلُّلِهِمْ لَيْلًا مِنْ مُعَسْكَرِ قَوْمِهِمْ ،
قَالُوا لَهُ :

- إِنَّكَ شَرِيفٌ مِنْ أَشْرَاقِنَا ، وَإِنَّا نَخَافُ
عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ حَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا ..

وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ﷺ ، وَأَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لِبَايَعَتِهِ ، فَأَعْلَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حِرَامٍ إِسْلَامَهُ ، وَذَهَبَ مَعَهُمُ لِلِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ..

وَتَجَمَّعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعُقْبَةِ لِمُعَادِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ عِدْدُهُمْ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا ،
وَامْرَأَتَيْنِ ، هُمَا نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو ..
وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ عَمَةُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَمْ
يَكُنِ الْعَبَّاسُ يَوْمَهَا قَدْ أَسْلَمَ ، لَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ
مَوْعِدَ ابْنِ أَخِيهِ مَعَ الْأَنْصَارِ ؛ حَتَّى يَتَوَقَّعَ لَهُ ، وَيَطْمَئِنُّ
عَلَيْهِ .

وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ ، فَقَالَ لِلْأَنْصَارِ :
- يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ (وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَوْسَ
وَالْخَزَرَجَ بِالْخَزَرَجِ) إِنْ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ،
وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا ، فَهُوَ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ

مِنْ قَوْمِهِ فِي بَلَدِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَازَ إِلَيْكُمْ
وَاللَّحِقَاقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَفْئُونَ لَهُ بِمَا
دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، وَمَانِعُوهُ مِنْ خَالِفِهِ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمِلْتُمْ
مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَازِلُوهُ



بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه

فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده ..

فقال الأنصار - رضوان الله (تعالى) عليهم - :

- قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ

لنفسك ، ولربك ما أحببت ..

فتكلم رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، وتلا القرآن ،

ودعا إلى ربه ، ورغب في الإسلام ، ثم قال :

- « أبايعكم على أن تمنعوني - إذا قدمت إليكم -

مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » ..

وكان البراء بن معرور أول من بايع الرسول ﷺ ،

فأخذ بيده ، ثم قال :

- والذي بعثك بالحق ، لئمنعتك مما تمنع منه

نساءنا وأبناءنا . فبايعنا يا رسول الله ، فنحن أهل

الحروب ، وأهل الحلقة (السلاح) ورثناها كابرا عن

كابرا .

فقال واحد من الأنصار :

- يا رسول الله ، إن بيننا وبين اليهود حبالا
(أحلافًا) ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا
ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك ، وتدعنا ؟
فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال :

- « بل الدّم الدّم ، والهدم الهدم .. أنتم مني ، وأنا
منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .. »
ومعنى : « الدّم الدّم ، والهدم الهدم » أى : دمي
دمكم ، وذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم ..
فقام العباس بن عبادة الأنصاري ، فقال :

- يا معشر الأنصار ، هل تعرفون علام تبايعون هذا
الرجل ؟

فقالوا جميعًا :

- نعم ..

فقال :

- إِنْكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ

وَالْأَسْوَدَ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ إِذَا نَقَصْتَ
أَمْوَالَكُمْ ، وَقَتْلَ أَشْرَافِكُمْ ، أَسَلِمْتُمُوهُ ، فَمِنْ الْآنَ
فَاتَرَكُوهُ ، لِأَنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَهُوَ خِزْيُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَقْوَانُكُمْ لَمْ يَدْعُوا تَرْكَوهُ
إِلَيْهِ ، عَلَى نَقْصِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَخَذُّوهُ ،
فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

فَقَالُوا :

- بَلْ نَأْخُذْهُ عَلَى نَقْصِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَمَا
لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ نَحْنُ وَفِينَا ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « الْجَنَّةُ » ..

وَقَامَ الْأَنْصَارُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
يُبَايِعُونَهُ ..

ثُمَّ طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا

مِنْ بَيْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا لِيَكُونُوا نُقَبَاءَ عَلَى قَوْمِهِمْ ،
فَلَمَّا اخْتَارُوهُمْ لَهُ ، طَلَبَ مِنْهُمْ الرَّسُولُ ﷺ ، أَنْ يَعُودُوا
إِلَى مُعَسِكَرِهِمْ ، حَتَّى لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَا مِنْ
قَوْمِهِمْ ، بِمَا دَارَ بَيْنَهُمْ ..



فَقَالَ الْأَنْصَارُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

- لَوْ شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَنَهَجَمُنَّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ
غَدًا بِسُيُوفِنَا ..

فَأَخْبَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ ، بِأَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) لَمْ يَأْمُرْهُ
بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ بَعْدُ ..

وَرَجَعَ الْأَنْصَارُ إِلَى مُعَسَّكَرِ قَوْمِهِمْ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ ،
ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ ، وَدَعَا مِنْ
بَقِيَ مِنْ قَوْمِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ إِلَى الدَّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ
، فَأَجَابَهُمْ مِنْ أَجَابِهِمْ ، وَبَقِيَ بَعْضُ شَبَابِ قَوْمِهِمْ
عَلَى الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَ أَهْلُهَا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ..

وَقَبْلَ بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ (تَعَالَى) قَدْ
أَذَّنَ لِرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ ، وَإِنَّمَا كَانَ
يَأْمُرُهُ بِالذَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى ، وَالْعَفْوِ
عَنِ الْجَاهِلِينَ ..

وكانت قريش تصطهد أصحاب النبي ﷺ ،

وتفتش من استطاعت منهم عن دينه ، فلما بايع
الأنصار رسول الله ﷺ على نصرته وبصر دين الله ،
أذن الله (تعالى) للنبي ﷺ وأصحابه بالحرب وقتال
الكفار والمشركين دفاعاً عن أنفسهم ، وحتى لا يفتن
الكفار إخوانهم الصعفاء ، ويردوهم عن دينهم ..

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج من مكة ،
والهجرة إلى المدينة ، والإقامة هناك مع إخوانهم من
الأنصار ، فقال لهم

— «إن الله (عز وجل) ، قد جعل لكم إخواناً ،
وداراً تأمنون بها ..»

وبدأ أصحاب رسول الله ﷺ يهاجرون إلى المدينة
جماعات وأفراداً ، وظل رسول الله ﷺ مقيماً بمكة
مع من بقى من أصحابه ، ينظر الإذن من الله
(تعالى) بالهجرة .

وكانت قريش ترد من تقدر عليهم من
المسلمين ، أو تأخذ دورهم وأموالهم ، وتركهم
يهاجرون فقراء إلى الله ، فكانوا يحدون العون من
إخوانهم الأنصار بالمدينة ..

فها هو ذا الصحابي الجليل صهيب رضي الله عنه حين أراد
الهِجْرَةَ ، قال له كفار قريش :

- أتيتنا صنعوا كما حقيرا ، فكثير مالك عندنا ،
وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك
ونفسك ، والله لا يكون ذلك أبدا ..

فقال لهم صهيب رضي الله عنه :

- إن تركت لكم مالي ، هل تخلون سبيلي ؟

فقالوا له :

- نعم ..

فقال صهيب :

- فإني قد تركت لكم مالي ، فخذوه ..

فَأَخَذُوا مَالَهُ ، وَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَخَرَجَ مُهَاجِرًا
بِدِينِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلَهُ صَهِيْبٌ ،
قَالَ :

- « رِيحٌ صَهِيْبٌ .. رِيحٌ صَهِيْبٌ » ..



وقد خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاهراً

سيفه ومهاجراً ، وهو يقول لكفار قريش :

- من أراد أن تشكله أمه ، فليلقني خلف هذا

الوادي .. فلم يجرؤ أحد من الكفار على التعرض له ،

أو منعه من الهجرة ، كما كانوا يفعلون مع ضعاف

المسلمين ..

وأخيراً لم يبق بمكة من المسلمين مع النبي ﷺ إلا

علي بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق - رضي الله

عنهما - ومن حبسته قريش من المسلمين أو فتنته عن

دينه ..

أما علي رضي الله عنه فقد استبقاه النبي ﷺ ، لحكمة

سنعرفها فيما بعد ، وأما أبو بكر رضي الله عنه فكان يستأذن

النبي ﷺ كثيراً في الهجرة ، وكان الرسول ﷺ

يقول له :

- « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » ..



وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَكُونَ رَفِيقَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ ..

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ مُعْظَمَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ
هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، عَرَفُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
سَيُهَاجِرُ إِلَيْهِمْ ، وَلِذَلِكَ اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ ،
وَتَشَاوَرُوا فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
حَتَّى لَا يُلْحَقَ بِأَصْحَابِهِ ، وَيَعُودَ لِحَرْبِهِمْ ..

(يَتبع)

رقم الإصدار : ٢٠٣ / ٧٣١٢

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٩٦٩ - ٩٠٠ - ٥

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٩)

الهجرة المباركة

● احرص على اقتنائه ●